ثنائية اللّفظ والمعنى في كتاب الصّناعتين لأبي هلال العسكري(310هـ/ 395هـ)(*)

أ/حمزة دحماني
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

الملخص:

هذه الدراسة مساهمة متواضعة هدفها نفض الغبار عن قضية اللفظ والمعنى في تراث" أبي هلال العسكري" من خلال "كتاب الصناعتين" وقد حاولت جهد الطاقة الوقوف على مفهومها كما وقرت في تصور اللغويين،ليتم إضاءتها من خلال نصوص المصادر التي تناولت هذه القضية لكن من زوايا مختلفة،متحريا الترتيب الزمني والتنويع المكاني في التعامل مع النصوص التي عالجت هذه القضية قدر المستطاع .

لقد أردنا في هذا البحث أن ندرس أحد أهم رجالات البلاغة العربية، الذي يعتمد على كثرة الأمثلة والإقلال من التعاريف، وهو يمثل هذا المنهج أحسن تمثيل، وكل المؤرخين يذكرون هذا له، هو الشيخ أبو هلال العسكري ؛ في كتابه المشهور به: "الصناعتين" ؛ وهو كتاب مزج فيه البلاغة بالنقد، لذلك وجدنا حتى المعنيين بأبحاث النقد يرجعون إليه، ونحن نقتصر فقط على الجوانب البلاغية فيه، نستخرجها ونصنفها في التصنيف الثلاثي الذي عليه البلاغة اليوم: علم البيان، علم المعاني، علم البديع، ليظهر مدى إسهام أبي هلال في تطور البلاغة ودور الصناعتين بين كتبها .وإنّ تخصيص كتاب الصناعتين

بالذات لا لشيء إلا أنه الكتاب الوحيد المتفرد بآراء أبي هلال البلاغية مما طبع من مؤلفاته على كثرتها وتنوعها.

تمهيد:

تعد العناية بالدّلالة أو المعنى من أقدم الاهتمامات الفكريّة للإنسان؛ فقد شغل هذا الموضوع أذهان الفلاسفة والمناطقة واللّغويّين والنّحاة، وكذا الأدباء والأنتروبولوجيّين وغيرهم من فئات المجتمع على اختلاف تخصّصاتهم العلمية، وذلك لأهميّته فهو يمثّل عصب البحث وقوامه في كلّ دراسة.والدّلالة هي تلك الرابطة الخفية التي تجمع بين الائتلاف الصوتي وهو ما يعرف باللفظ وما يحمله هذا الائتلاف من معنى.
فاللفظ"دال"والمعنى"مدلول"، والدلالة هي ذلك المدرج الذي ينصرف إليه بال الإنسان حين النطق والسماع.(عبد القاهر، ع.1997.ص 97).

ولو بحثنا في جذور الفكر وبداياته الأولى لوجدنا أن قضية "اللفظ والمعنى" متأصلة في تراث الإنسانية منذ الفكر الهندي والإغريقي، والفكر العربي الإسلامي قديما، مرورا بلاهوت العصور الوسطى وفكر النهضة وصولا إلى القرن العشرين، وهذا دليل على أهمية هذا البحث.

فقد تبادرت إلى أذهان الباحثين في علقة اللفظ بمعناه تساؤلات جمة حفزتهم على الاجتهاد لكشف كنه هذه العلاقة الجدلية.فهل توجد فعلا علاقة تربط اللفظ بمعناه أم لا ؟. وإن وجدت فما طبيعتها وما مداها في كتاب الصناعتين؟. أهي ذاتية موجبة بحيث إذا ذكر هذا الاسم أثار بالضرورة صورة المسمى في جميع أذهان الناس ؟ .أم أنها اصطلاحية اعتباطية لم تثر صورة المسمى إلا في أذهان المصطلحين والمتعارفين عليها وحدهم دون سواهم ؟.(الأنطاكي ،م.دت.ص366) .

يعد القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية،إذ هو الدافع الرئيسي لحفز الهمم وشحذ الأذهان للبحث والتحري والاستقصاء، فبفضله توسعت المدارك وتفجرت العلوم الهادفة إلى خدمته قصد استكشاف تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان بحق النص المحوري فالثقافة العربية الإسلامية(أبوزيد، ن.1998م:ص9)

فالمتأمل لأشكال الثقافة العربية الإسلامية يلاحظ أن العلوم الإسلامية جميعها لغوية وشرعية" على ما بينها من تفاوتواختلاف في التناول والأداء، وفي عرض الظواهر وتحليلها، وفي استعمال الأدوات والمصطلحات وضبطها وتحديدها،قد جعلت النص القرآني محط اهتمامها ومنطلقا لدراساتها"(المالكي، م. 1917هـ/1996م. ص:21). فما من علم إلا وكان القرآن الكريم المحور الذي يتحرك حوله وبوحي منه، سعيا إلى فهم نصوصه والتعبير عن حقائقه، فالنحوي ينظر إلى القرآن من جهة ما تضمنه من قواعد النحو ومسائله وأصوله وفروعه وخلافاته، واللغوي ينظر إليه من جهة ما تضمنه منلغات العرب،والفقيه ينظرإليه من جهة ما تضمنه من أمور فقهية كالطهارة والصلاة والزكاة وأحكامها، والبلاغي ينظر إليه من جهة ما تضمنه منأساليب بلاغية كالحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية والتوريةوالاستعارة.

وإذا كان القرآن الكريم هو النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية،فإن ثنائية اللفظ والمعنى تعد أبرز مبحث تنازعته علوم هذه الثقافة،والسبب في ذلك أن علاقة اللفظ بالمعنى تمتد إلى أعماق بعيدة تنتظم النشاطات البشرية في المجال اللغوي،من كلام وإبداع ونظم وغير ذلك...فكان لابد أن يوجد مصطلح يمثل جهة اللغة ويعبر عنها وهو(اللفظ)ومصطلح يعبر عن جهة المضامين وهو (المعنى).وإذا أردنا أن نتتبّع ظاهرة "اللفظ والمعني" فلابُدَّ لَنا أن نبدأ بتحديد مفهوم المصطلحين « اللفظ

والمعنى»في المعاجم العربية كأول خطوة للغوص في هذا الموضوع.

أولا : اللفظ

اللفظ في اللغة مصدر للفعل بمعنى الرمي، ويتناول ما لم يكنصوتا وحرفا، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملا كان أو مستعملا، صادرا من الفم أولا، ثم خص في عرف اللغة بما صدر من الفم، من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر، مهملا أو مستعملا(الكفوي،أ. 1412هـ/1992م .ص :795). وفي لسان العرب: لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته. يقال أكلت الثمر ولفظت النواة أيرميتها(ابن منظور،ج. 1374هـ/1955م . مادة(لفظ): 461/7).وفي القاموسالمحيط:لفظ بالكلام نطق كتلفظ (،الفيروز،أ. 1407/1987م. مادة (لفظ): 902).

واللفظ هوما يتلفظ به الإنسان أوفي حكمه، مهملا كان،أو مستعملا(الجرجاني، ش 1403هـ/1983م. ص:192) وهو عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنىالثاني على ما صرح به الشريف الجرجاني حيث قال: "إذا وضعوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يريدوا اللفظ المنطوق، ولكن معنى اللفظ الذي دل به على المعنى الثاني".(الكفوي،أ. 1412هـ/1992م . ص:795)

ثانياً : المعنى.

أما المعنى فهو مايقصد بشيء، ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصودا، وأما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنى بالعرض لا بالذات(الكفوي،أ. 1412هـ/1992م .ص:842). ومعنى كل كلام، ومعناته ومعنيته، مقصده.(ابن منظور،ج. 1374هـ/1955م .مادة(عنا): 106/15.) فالمفهوم اللغوي للفظ أنهما يتلفظ به الإنسان من الكلام، وللمعنى أنه

المقصود باللفظ، فالقصد شرط في اللفظ والمعنى،إذ لو لم يعت القصد لا يسمى الملفوظ كلاما.

أماالمعاني فهي الصورة الذهنيةإذ وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه، وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا(التهاني ، م .دون تاريخ. :3/1084)

والمعاني هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظوالصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما.(الجرجاني، ش 1403هـ/1983م. ص:220)والمعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة .(الكفوي،أ. 1412هـ/1992م .ص:842)

يتضح إذن من خلال هذه التعريفات، أن طبيعة اللفظ والمعنى هوالتلازم، فلا وجود للفظ بدون معنى، ولا وجود لمعنى بدون لفظ. فإذا كان المعنى صورة ذهنية فقد وضع بإزائه لفظ هو القصد من تلك الصورة أوهويتها.

وقد أدرك العلماء على نحو جيد قوة الترابط بين اللفظ والمعنى، وأدركوا قيمة المعنى في التعبير، ومكانةالألفاظ حين تنضم إلى بعضها، فالمعنى لا يقوم بغير لفظ، كما لا تقوم الروح بغير جسد، فهما متلازمان تلازم الروح والجسد في الأشخاص. يقول العتابي: "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما،أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، ولتحولت الخلقة وتغيرت الحلية ".(أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:179)

ولأهمية هذه الثنائية في الثقافة العربية الإسلامية، فقد كانت محط اهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم،فتعددت حولها النظريات وتضاربت حولها الآراء، واختلفت المناهج والمصطلحات من حقل لآخر. فما معنى الفظ والمعنى في كتاب الصناعتين ؟.

اللفظ والمعنى عند أبي الهلال العسكري:

ظهر أبو هلال العسكري في القرن الرابع الهجري، و يعتبر كتابه الصناعتين أساسا قويا للبلاغة في نهاية هذا القرن، وعلى الرغم من تصريح البيان والتبيين للجاحظ، إلا أن ذلك لا يغمط حقه ولا يخفي مجهوده وجديده فيما أضافه لبناء سرح البلاغة ولسنا هنا نناقش قضية السبق إلى القضايا البلاغية وإنما لحصر ما ورد منها في كتاب الصناعتين باعتباره كما صرح النقاد والمؤرخون جمع كل ما انتهت إليه البلاغة إلى عصره، فيكون لدينا فكرة حول ما وصلت إليه البلاغة في ذلك القرن.

وتعد قضية "اللفظ والمعنى" من أهم المسائل التي دارت في تلك العهود، فكان من العلماء أنصار اللفظ، وكان منهم أنصار المعنى، وقد اختلف النقاد ومؤرخو البلاغة في تصنيف أبي هلال من أي فريق هو؟.

فالطائفة الكبيرة منهم جعلته من أنصار اللفظ وجعلت "مذهبه في تفضيله للفظ على المعنى على مثال ما فعل الجاحظ، وما يرى أصحاب البديع"(زغلول،م .دون تاريخ.ص:387)، وحجتهم في ذلك مقولته التي تابع فيها الجاحظ: "وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا ولا يقنع من

اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت" (أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص: 63). وأيضا كثرة ما كان يعيد عبارته: "إن مدار البلاغة على تحسين اللفظ" مدللا لها، فقد ذكرها ثلاث مرات في كتابه:

الأولى في فصل تمييز الكلام:"ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ: ... ودليل آخر، إن الكلام إذا كان لفظه حلوا عذبا، وسلسا سهلا، ومعناه وسطا دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر ...إذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا وفاترا، والفاتر شر من البارد، كان مستهجنا ملفوظا ومذموما مردودا" (أبو هلال العسكري،ح 1401هـ/1981م.ص:164).

الثانية في فصل الإطناب: "...وهذا يدل أن أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ" (أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:201).

والثالثة في فصل التتميم: "... وهذا دليل على صحة ما قلنا، من أن مدار البلاغة على تحسين اللفظة وتجميل الصورة"(أبو هلال العسكري،ح . 1401هـ/1981م.ص:406).

وطائفة أخرى جعلته "أولى عنايته لكليهما، لإيمانه بوجود علاقة بينهما، وهي علاقة ثابتة كعلاقة الروح بالأبدان الحية، لذلك تسير الألفاظ والمعاني عنده جنبا إلى جنب كإقامة الروح في الجسد، وهي نظرة ثاقبة في اتجاه لغوي جديد يربط بين الفكر واللغة" (وليد، م .1983 . ص:30). ودليل هذه الطائفة مقولة أخرى أوردها أبو هلال في فصل التنبيه على خطأ المعاني وصوابها: "إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها، ويعبر عنها، ويحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأن المدار بعد على إصابة المعنى، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة" (أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:70).

ونص آخر أيضا استشهد به أبو هلال للعتابي في باب البيان عن حسن النظم وجودة الرصف: "وقال العتابي: الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة، وتغيرت الحلية. وقد أحسن في هذا التمثيل" (أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:167).

وأيضا بعض العبارات التي كانت تقوي هاته الجهة مثل قوله: "وتوخي صواب المعنى أحسن من توخي هذه الأمور في الألفاظ"(أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:179).

وطائفة ثالثة نظرت لكل هذه الأقوال جميعها نظرة جزئية مقتطعة عن سياقها، فنسبته إلى الاضطراب والتخبط في مسألة اللفظ والمعنى وأيهما المعول عليه في جودة الكلام وجعلت بين قوليه تناقضا غير مفهوم(غياض،م 1975.م.ص: 34).

وحتى نستطيع نحن أن نسلم لأحدها علينا أن نعرف أولا ما مدى فهم أبي هلال ارتباط اللفظ بالمعنى، وما موضع أحدهما من الآخر عنده؟. بهذا فقط نستطيع أن نضع أيدينا على علة جودة الكلام عند أبي هلال، وبه نستطيع أن نتمثل مقولاته ضمن سياقاتها المختلفة .

عاش أبو هلال العسكري في فترة شاع فيها تقسيم الكلام إلى ألفاظ ومعان، ولم يكن مذهبه مذهب صناع الكلام ليغوص في متاهات وفلسفات حقيقة اللفظ مع المعنى، فهو الأديب الشاعر الذي كان شغله الشاغل من أول كتابه أن يحقق أهدافه السامية التي أسس وبنى لأجلها هذا الكتاب، هو الناقد الذواقة الذي خبر النصوص وتذوقها بحسه المرهف، فامتازت "دراسته بعمق النظرة وسعة الأفق ورقي الذوق الأدبي"(وليد، م .1983م . ص:31)

جمع كل ما وصلت إليه البلاغة حتى عصره، وأضاف إليها ما سمحت به قريحته من شروح مبسطة وتمثيلات غزيرة و"اجتهادات طريفة تدل على دقة البصر بالشعر والخبرة بأسرار التركيب الفني" (حسن ،م . 1996م . ص: 78) - ليقدمها لطالب هذا العلم جاهزة واضحة جلية فيفيد منها الطالب إفادات جمة ويفهمها بكل يسر وسهولة لأنه من عصر مؤلفها فهمه للفظ و المعنى هو الفهم السائد في ذلك العصر.

لم يكن أبو هلال العسكري يفهم حقيقة اللفظ مع المعنى كما فهمها من بعده الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ،والذي شكل هذا الفهم عنده شطر نظريته البلاغية – نظرية النظم- والمتأمل في "دلائل الإعجاز"يلاحظ أن صاحبه يرى: أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاما في أي غرض يبدأ فيرتب المعاني في نفسه أولا ويبذل جهدا في ترتيبها، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فالناظم يبذل فكرا في ترتيب المعاني في النفس وتنسيق دلالتها، ولا يحتاج إلى أن يستأنف فكرا جديدا في ترتيب الألفاظ وتوالي نطقها(الجرجاني،ع.1424هـ/2003.ص:30).

إلا أن أبا هلال العسكري كانت نظرته تجرد اللفظ عن معناها، وتفصل ألفاظ الجملة عن معناه نظرة ازدواجية تجعل ألفاظ الجملة المسبوكة في جانب، وتجعل المعني الناتج عنها في جانب آخر؛ ولما كان الأمر عنده كذلك كان على أحدهما أن تكون له المزية الزائدة على الآخر في جودة الكلام، فكان هو اللفظ الذي صال وجال يستدل لفضله ونحن نقول المزية الزائدة لأن أبا هلال لا يرى للفظ المزية الكاملة المنقطعة، فهو أيضا يشيد بالمعنى وبأهميته. إن أبا هلال في تفريقه يصنف اللفظ في الدرجة الأولى وبعده المعنى في الدرجة الثانية لكن مع أهمية كل منهما، ألسنا نجده يقول "...لأن المدار بعد على

إصابة المعنى" (أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:70). واشترط في اللفظ شروط تحسين سبق وأن ذكرناها، واشترط في المعنى أن يكون صوابا وسبق أن أوضحنا قصده بالصواب، وجعل شرط اللفظ ملازما لشرط المعنى حتى تتحقق الجودة، فإن انتفى أحدهما انتفت جودة الكلام.

وذكر العسكري مكان اللفظ من المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه، ذكرنا اثنين من قبل وهو ما احتج به الطائفة الثانية: الأول له، والثاني للعتابي، أما الثالث فقوله في فصل البيان عن حسن النظم: ".. وإذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا، وإن اختل نظمه فضمت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا" (أبو هلال العسكري،ح . 1401هـ/1981م.ص :167). هذا القول الثالث بين الفصل بين اللفظ والمعنى، فرصف الكلام الذي يتحدث عنه هو ترتيب الألفاظ، فقد جعل المعنى من جهة وترتيب الألفاظ من جهة أخرى وشبههما بالعقد.

فالمعنى السابق كالحكمة مثلا إن لم ترتب الألفاظ مجردة من المعنى – ترتيبا سليما سقط الكلام وإن جل المعنى: كحبات عقد ثمينة سيء ترتيبها.

والمعنى الوسط الذي هو أدنى درجات المعنى الصائب عنده إن رتبت ألفاظه – المجردة – ترتيبا حسنا كان الكلام أحسن موقعا وأطيب مستمعا مثل حبات عقد طبيعية حسن ترتيبها.

أما النصان الأول والثاني، فلو تأملنا هما جيدا لاتضح الفارق بينهما جليا، فمن تشبيه أبي هلال للمعاني بالأبدان وللألفاظ بالكسوة يتأكد لنا رأيه وفهمه للفصل الذي لا ينفك نحسه يضعه بين اللفظ والمعنى عبر كامل أجزاء الكتاب.

وإن كان استشهاده بقول العتابي يوهم بغير ذلك الفهم إذا وقعت أبصارنا على جملة "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح"، فإن أبا هلال العسكري ما فهم هذه الجملة إلا كما فهم تشبيههما بالأبدان والكسوة، نقول ذلك لأنه لم يستشهد بقول العتابي في معرض الكلام عن اللفظ والمعنى كما فعل في قوله السابق، بل كتب مقولة العتابي وهو يقصد الاستشهاد بقوله "فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى"، لأن أبا هلال كان يتحدث عن حسن الرصف وسوئه، وعرف سوء الرصف أنه "تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها"(أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:167)، وبعد هذا التعريف مباشرة جاء بقول العتابي الآنف الذكر، مما يدل دلالة قاطعة على قصده ذاك.

لقد أشاد أبو هلال كثيرا بتحسين اللفظ وتخيره حتى يحسن الكلام لكنه دائما كان يقيده بإصابة المعنى، ولم يخل نص من نصوصه يذكر فيه دور اللفظ إلا عطف عليه دور المعنى، كقوله: "الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه وإصابة معناه.."(أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:61) فالمعنى إن حاد عن الصواب سقط الكلام ولو تخير له أجاود الألفاظ وأحلاها، وهذا بين حتى في عبارته: "وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا" التي تظهر فيها صنعة المعنى عن اللفظ، فإن هاته العبارة نفسها تصرح أن المعنى إن لم يكن صوابا فليس يغني اللفظ كل ما جلله به أبو هلال وحلاه من أوصاف الحسن والجمال. يقول أبو هلال في هذا المعنى: "ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا اجترت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد"(أبو هلال العسكري ،ح . 1401هـ/1981م.ص:66).

وكما خصص أبوهلال الفصل الأول من الباب الثاني لتمييز الألفاظ و صرح في آخره أن تمييز الألفاظ شديد، خصص الفصل الثاني منه في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها و أغزر فيه من التمثيلات حتى يشتفي طالب الصنعة – صنعة الكلام –

و في الباب الثالث الفصل الأول في كيفية نظم الكلام تطرق أبو هلال لقضية مهمة جدا في ميدان النقد و البلاغة تجعلنا نحس جيدا ذلك الترتيب الذي يتبناه: الألفاظ فالمعاني؛ و القضية هي التناسب في المعاني.

و حين يعرض أبو هلال لمسألة و يوجه اهتمامه إلى موضوع تناسبها، لم يكن هذا على حساب الألفاظ و تلاؤمها. فمبدؤه أن يحرص الشاعر على أن يكون بين كلمات قصيدته توافق و انسجام من جهة البناء الصوتي للشعر من حيث الأصوات المفردة والكلمات مفردة و مركبة والإيقاعات في الأوزان و القوافي، و هو مبدأ أشار إليه الجاحظ قبله- وأخذ به العسكري ، و إنما قام على افتراض أن التناغم الصوتي متحقق بالفعل، ومع هذا لا يزال البيت(أو البيتان)يعاني نوعا من الاضطراب. لانعدام الاستواء في المعنى، فقدم نماذج من أبيات وقطع تفتقد الالتئام و التكامل في المعنى وهذه النماذج ترجع لشعراء في عصور مختلفة وفي مستويات من المقدرة عالية، و مع هذا يحدث أن تغفل عن مراجعة شعرها و صقله بما يحقق له هذا المستوى الأساسي المطلوب في الشعر(حسن،م.1996م .ص :70).

الخاتمة:

وبعد هذه القراءة في أجواء كتاب الصناعتين، خرجنا من هذا البحث بنتائج حصرناها في النقاط التالية:

- قضية اللفظ والمعنى من أهم القضايا التي دار حولها النقد.وهي ترجع في الأساس إلى النظر في الشعر ما بين لفظه ومعناه أيهما تكمن فيه الشاعرية أو

المقدرة الفنية أتنصب العناية على المعنى المخبوء أوالظاهر في الشعر أم تنصب على الشكل والتفرّد في الصياغة ولاشك أن الشعر أوالأدب هو هذا الثنائي (اللفظ والمعنى)مع الأخذ في الاعتبار أن الفصل بينهما غير متحقق عند التدقيق ولا يؤدي إلى بيان الروعةالفنية في الأدب.

- كان أبو هلال من العلماء الذين يرون هذا الفصل، ويرون تقديم اللفظ على المعنى في جودة الكلام لكن دون أن يغمط مزية المعنى ؛إذ كانت نظرته للجملة(فضلا عن اللفظ) نظرة تفصل بين معناها وبين ألفاظها المرتبة، ويرى أن بذل الجهد يكون- عند التعبير- في ترتيب الألفاظ دون التفات إلى المعاني وترتيبها في النفس الذي يسبق ترتيب الألفاظ كما يقرر عبد القاهر، فالمعاني عند أبي هلال العسكري خامة ليس فيها أي ترتيب، فهي حاضرة في النفس وتأتي بعدها مرحلة الاجتهاد في التعبير عنها بألفاظ مرتبة ترتيبا صحيحا خاصا بها وهنا تنصب كل فنون البلاغة وتراعى بهذا المنظور عند أبي هلال.

- اللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة ؛ الألفاظ أصوات منطوقة جهرا ، والأفكار قد تكون ألفاظا و أصواتا خافتة ينطقها العقل ويتعامل معها بسرية تامة ، فإذا ما أراد أن يخرجها من إطاره نطق بها ألفاظاللآخرين.

الهوامش:

(❖)1- **هو أبو هلال** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريولد ونشأ بمدينة عسكر مكرم وإليها نسب، وهي مدينة من مدن الأهواز شرق العراق،وقد أغفلت جميع المصادر تاريخ ولادة أبي هلال، غير أن بعض الباحثين المعاصرين استنتجوا أنه ولد سنة 310هـ على وجه التقريب ، وبعد أن تقدمت به السن واستولى الضعف عليه توفي –رحمه الله- واختلف في

سنة الوفاة فمن المصادر من يرى بأنه توفي سنة 395هـ ومنهم من يرى بأنه توفى في حدود الأربعمائة تاركا آثارا أدبية من أهمها:

- كتاب الأوائل - كتاب التبصرة - التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم.- كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء.- جمهرة الأمثال.- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه.- الحماسة العسكرية.- الدينار والدرهم.- ديوان المعاني.- ديوان العسكري.- ذم الكبر.- كتاب صنعة الكلام- كتاب الصناعتين

2- **كتاب الصناعتين كتاب في الأدب** العربي، وخاصة في علم البلاغة؛إذ هو عبارة عن خلاصة ما توصل إليه سابقو العسكري ممن عالجوا موضوعه كابن سلام في طبقات الشعراء والجاحظ في البيان والتبيين، وابن قتيبة في نقد الشعر، وابن المعتز في البديع، وقدامة في نقد الشعر ، والآمدي في الموازنة،والجرجاني في الوساطة.

ويتألف كتاب الصناعتين من مقدمة نوه المصنف فيها بمعرفة علم البلاغة وأنه ضروري لفهم إعجاز القرآن...وكذلك يتكون من عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا، تتناول الموضوعات البلاغية المختلفة من تحديد موضوع البلاغة لغة واصطلاحا،إلى تمييز جيد الكلام من رديئه، ومعرفة صنعته وحسن الأخذ وقبحه، إلى ذكر الإيجاز والإطناب،والتشبيه حده، وما يستحسن منه وما يستقبح، وذكر السجع والازدواج ، والقول في البديع ووجوهه وحصر أبوابه وفنونه...وقد بلغت فنون البديع عنده خمسة وثلاثين فنا استغرقت من كتابه خمسة وثلاثين فصلا ،طبع الكتاب مرات، منها طبعة الأستانة سنة1320هـ بعناية السيد محمد الأمين الخانكي أما نسخة المخطوط فينذر وجودها في مكتبات العالم،منها مخطوط دار الكتب المصرية وقد كتبت سنة1091هـ بخط فضل الله الطيب

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم رواية حفص لقراءة عاصم(قرص مضغوط)

1- ابن منظور جمال الدين محمد بنمكرم،لسان العرب، 1374هـ/1955م،دون طبعة، بيروت، دار صادر.

2- أبوزيد نصر حامد ،مفهوم النص، دراسةفيعلوم القرآن،، 1998م،الطبعة الرابعة بيروت ،المركز الثقافي العربي .

3- أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين: تحقيق مفيد قميحة ، 1989 م،الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية

4- الأنطاكي- محمد ، الوجيز في فقه اللغة ،دون تاريخ ،الطبعة الأولى ،لبنان ،مكتبة دار الشرق.

5- التهانوي محمد علي بن علي الفاروقي التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون، دون تاريخ ،دون طبعة،بيروت ،دار صادر.

6- الجرجاني الشريفعلي بن محمد، تحقيق جماعة من العلماءبإشرافالناشر ،التعريفات،1403هـ/1983م. الطبعة الأولى ،بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية

7- الجرجاني عبد القاهر ،شكله وشرح غامضه وخرج شواهده الدكتور ياسين الأيوبي ،دلائل الإعجاز في علم المعاني،1424هـ/2003م، دون طبعة، صيدا،بيروت، المكتبة العصرية.

8- عبد القاهر عبد الجليل/ البنية اللغوية في اللهجة الباهلية- دراسة في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية،1417هـ- 1997م،الطبعة الأولى،الأردن،دار صفاء.

9- الفيروزابادي محمد بن يعقوب،القاموس المحيط،، 1407/1987م، الطبعة الثانية، بيروت ،لبنان،. مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث.

10- الكفوي أبو البقاء أيوب بنموسى الحسيني، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمدالمصري، 1412هـ/1992م ، الطبعة الأولى، بيروت ، مؤسسةالرسالة.

11- المالكي محمد ،دراسات الطبري للمعنى من خلال تفسيره، 1917هـ/1996م،دون طبعة، المغرب ،منشورات وزارة الأوقاف مطبعة فضالة.

12- . محمد حسن عبد الله، أصول النظرية البلاغية، 1996م،الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة وهبة.

13- محمد زغلول سلام ،تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ،دون تاريخ،الطبعة الثالثة، الإسكندرية، منشأ المعارف.

14- محسن غياض: شعر أبي هلال العسكري. 1975م،الطبعة الأولى، بيروت، منشورات عويدات.

15- .وليد محمد مراد، نظرية النظم ، 1983م،الطبعة الأولى، دمشق،سوريا، دار الفكر.